تقديم

بقلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور : محمد سيد طنطاوى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ - وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد : فقد اطلعت على الكتاب القيم الذى موضوعه «ميزان النبوة» لابننا الفاضل الأستاذ: جمال الحسينى أبو فرحة وقد سرنى ما أشتمل عليه هذا الكتاب لجهوده الطيبة فيه حيث كتبه بروح إسلامية خالصة وبتحقيق علمى عميق يدل على صدق الإيمان، وإخلاص النية وتحرى الحق ، ورجاحة العقل .

أسأل الله تعالى أن ينفع به عباده ، وأن يجعله فى ميزان كاتبه وأن يكتب لنا وله التوفيق والسداد فى القول والعمل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تحريراً فى ٢٢ من ذو الحجة ١٤١٧ هـ

٢٩ من إبريل ١٩٩٧م

شيخ الأزهر

محمد سيد طنطاوى

مقدمة المؤلف

لا شك أن الإنسان - بما هو إنسان - إنما يقاد بفكره، فالفكر هو أساس السلوك الإنساني .

وإذا كان هناك نسقان رئيسان للفكر الإنساني هما النسق الإيماني والنسق الإلحادي فبالطبع يتأدى ذلك إلى نسقين سلوكيين متباينين وإذا كان للعقل دور في اختيار أحد هذين النسقين فأزعم أن للمعجزة أيضاً دوراً في ذلك .

بل يتعدى دورها من مجرد اختيار أحد هذين النسقين الرئيسين إلى اختيار نمط إيماني معين متفرع عنهما يعد ركيزة لكل ما يصدر منا من أفعال .

ولا شك أنه في هذه المرحلة التاريخية التي كادت أن تتلاشى فيها الحدود والفواصل المكانية . أصبحت المواجهة محتومة بين هذين النسقين الفكريين الرئيسين، بل وبين ما يتفرع عن كل نسق منهما من أنماط .

وأصبحت هذه المواجهة تعني: إما انصهار الجميع في بوتقة واحدة لا لون لها، وإن شاب لونها ظلال من لون ذلك النمط الأقوى أو من لون ذلك النمط الذي يعتنقه الأقوى .

وإما أن تعني هذه المواجهة اكتساح أحد هذه الأنماط للأنماط الأخرى، إما لكفاءته، وإما لكفاءة أنصاره .

ولكن لابد في مثل هذه الأمور المصيرية[1] ألا تترك للظروف ومقتضياتها . أو للأقوياء وتدبيراتهم .

ومن ثم فلابد من مساهمة واعية [2] من أنصار هذه الأنماط المختلفة في البحث عن الحقيقة وجلائها .

لأن فاعلية الحقيقة لا تظهر إلا إن أدلى في البحث عنها بدلوه كل من له صلة بها .

---

(١) يقول تعالى: «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» سبإ (٢٤) .

(٢) لا شك أن الإيمان خارجا عن أصول العقل والحكمة ينتهي إلى الحماس الذي يسلم الإنسان إلى العاصفة ويفقده حس الاتجاه. ومن ثم كان إعمال العقل والتجرد من الأهواء هو حقا ما تحث عليه الرسالات السماوية الكبرى وتلح «ليهلك من هلك عن بينه ويحى من حى عن بينه» الأنفال ٤٢ .
ففى القرآن يقول تعالى: « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » . النساء ٨٢ =

وتتبدى أهمية هذه الدراسة من ناحية أخرى.

من أن المكتبة العربية، يصعب أن نجد بها دراسة مستقلة مستفيضة لطبيعة المعجزة وحجيتها .

ففي البحوث القديمة يندر أن نجد كتابا يخلص للحديث عن المعجزات كرسالة ابن تيمية «قاعده شريفة في المعجزات والكرامات»، ورسالة ابن كمال باشا «في حقيقة المعجزة ودلالتها على صدق من ادعى النبوة»، وكتاب الباقلاني «البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات» على صغر هذه البحوث .

وفي الدراسات الحديثة كذلك، يندر أن نجد كتابا يخلص للحديث عن المعجزة وطبيعتها وحجيتها تقول مرسيا إليد في عبارة جريئة : « ليس هناك كتاب شامل يبحث في موضوع المعجزات في تاريخ الأديان العام »[1] .

وإن كنت أنوه هنا بذلك الكتاب الذي شارك في وضعه عدد من الباحثين الغربيين، وترجمه إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، بعنوان« المعجزات فى الإنجيل» وهو وإن كان يمثل دراسة جادة فى موضوع المعجزات، إلا أنه يحصر موضوع بحثه في المعجزات في الإنجيل فقط. وهو وإن نحا منحى عقليا في الدراسة إلا أن منطلقاته في كثير من الأحيان كانت تنبع من العقيدة المسيحية، هذا بالإضافة إلى صغر حجمه حيث لا يتجاوز السبعين صفحة .

وإن كانت توجد كثير من الدراسات العربية الحديثة خالصة للحديث عن المعجزات ـ إلا أن هدفها يختلف عن هدفنا هنا، فهدفها سرد تلك المعجزات وتوثيقها من حيث الرواية[2] أما هدفنا هنا فهو فهم طبيعتها، ومدى حجيتها.

= ويقول تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» سبإ (٤٦) وفي العهد الجديد ورد على لسان المسيح عليه السلام: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية » . يوحنا ٥ / ٣٩ .

ويقول بولس الرسول : « لا تحتقروا النبوات امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن» رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥ / ٢٠ - ٢١ .

(١) انظر . Mircea Eliade: The Encyclopedia of Religion Vol . 9 . p . 548

(٢) في تخريجي للأحاديث النبوية الشريفة حرصت على توثيقها من حيث المعنى أكثر من حرصي على =

واقتصرت دراسة المعجزة في معظم الأحيان على الدراسة الموجزة بالنظر إلى زاوية واحدة منهـا أوعدة زوايا وغالبا مـا كان ذلك فى إطار موضوع يتـحدث عن النبوات إما بوجه عام، وإما من زاوية معينة أيضاً .

ومن ثم فـقد رأيت أن المكـتبـة العربـية في حـاجة مـاسـة إلى بحث هذا الموضوع، واستكناه جوانبـه في بحث يضم أشتاته التفرقة،ملقـيا مزيد ضوء على كثير من الجزئيات التي أغفلت،أو كـادت أن تغفل في الدراسات السابقة،أو كانت مثار خلاف بينها .

جمال الحسيني أبو فرحة

القاهرة ، مدينة نصر في ٢٩ / ٤ / ١٩٩٧ م

= توثيق اللفظ لأنا هنا فى مجال البحث الفلسفي لا في مجال البحث الحديثي واهتمامنا منصب على المعاني والأفكار دون الألفاظ فإذا كان الحديث من البخاري أو مسلم فقد ارتضينا رأي الجمهور القائل بصحته صحة مطلقة،وإن لم يكن منهما فقد حرصت على ذكر درجته ما لم أذكر حديثا آخر صحيحاً يحمل نفس المعنى.وربما أغفلت ذكر درجة الحديث إذا كان الهدف منه مجرد الاستئناس.وإذا كانت صحته لا ينبنى عليها أمر ذو بال في هذا البحث.وذلك حين نسلم بصحته جدلا ولا ينبني على ذلك طعن في ما ذهبنا إليه من آراء والمقصود بصحة الحديث هنا بالطبع صحته في تمثيل الإسلام لا في بناء ميزان النبوة فهذا الميزان لا يمكن أن يكون لبناته بالطبع إلا العقل الصريح الذي قد يستأنس بالشرع،لأنه لا يمكن الاستشهاد على صحة النبوة بالسمع لأن السمع لم يثبتْ بعد وهو دور .